T.C.
CUMHURBAŞKANLIĞI
HİMAYESİNDE

II.Uluslararası Selçuklu Kültür ve Medeniyeti Sempozyumu

SELÇUKLULARDA BİLİM ve DÜŞÜNCE

Bildiriler/Proceedings 19-21 Ekim 2011 KONYA

CİLT - 4

ENTELEKTÜEL HAYAT

Editör

Prof.Dr.Mustafa DEMİRCİ
Doç.Dr. Ali TEMİZEL
Doç.Dr. M.Ali HACIGÖKMEN
Yrd.Doç.Dr. Sefer SOLMAZ

SELÇUKLU BELEDİYESİ

TÜRK TARİH KURUMU

T.C. KONYA VALİLİĞİ

KONYA BÜYÜKŞEHİR BELEDİYESİ

SELÇUK ÜNİVERSİTESİ

KONYA ÜNİVERSİTESİ

IRCICA

TİKA

TARİHİ KENTLER BİRLİĞİ

أوقاف المراكز العلمية في العصر السلجوقي
(دورها في النهضة العلمية الإسلامية)*

أ. د. عبدالفتاح قاسم ناصر يحيى**

يعتبر العصر السلجوقي بحق عصر النهضة العلمية الإسلامية خصوصاً في المناطق والأجزاء التي انطوت تحت حكمهم أو نفوذهم، كما أن تأثيراته ومؤثراته العلمية التنويرية شملت المساحة التي أنتشر فيها الإسلام، بل وتعداها، فشرقاً الهند والصين، وغرباً دول أوروبا. كما يعتبر الملوك والسلاطين والأمراء السلاجقة رواد حركة النهضة العلمية ، فيعود إليهم الفضل في غرس المفاهيم الفكرية الحداثية في زمانهم من خلال فتحهم الأفق الواسع للمعارف والعلوم المختلفة، وإنشائهم وإقامتهم وتشيدهم وتأسيسهم للمراكز العلمية(مساجد- مدارس- مؤسسات تعليمية أخرى)، فأوجدوا بذلك صروح المعرفة الدقيقة، وأعطوا كل تلك المراكز جُل اهتمامهم ورعايتهم، بل وبذلوا قصارى ما عندهم من أجل ذلك، فحموا العلم في عهودهم واجتذبوا العلماء، وتنافسوا في هذا المضمار، ولم يبخلوا يوماً ومافترو ساعة في الإنفاق عليه، وإن من أبلغ مظاهر العناية وإيلاء العلم كفاية الاهتمام تلك الأوقاف التي أوقفت من قبل السلاجقة رجالاً ونساءً من أراض زراعية ودور ومباني وأسواق وقرى ووديان وخانقاه وغيرها من الأوقاف السخية لصالح المراكز العلمية.

إن بحثنا هذا ما هو إلا محاولة بسيطة أردنا من خلالها أن نتلمس دور الأوقاف أو الوقفيات في النهوض الفكري أو العلمي الذي شهده العصر السلجوقي، وكيف أن هذه الوقفيات كانت الداعم الرئيس لرجال العلم من الأساتذة والطلاب، وبفضلها استمرت المراكز والمدارس والمعاهد العلمية في تأدية رسالتها ونشر علومها ومعارفها في أرجاء المعمورة، فحاولنا إبراز أهم تلك الوقفيات وموقفيها والتي كان لها الدور الأكبر في ظهور أعلام العلماء المدرسين ومدارسهم الشهيرة، وقد تقفينا في بحثنا هذا أثر المعلومة التاريخية من مصادرها محاولين

---

* Selçuklu Devrinde İlmî Merkezlerin Vakıfları (Bunların İslâmî İlimlerin Canlanışındaki Rolü)

** Prof. Dr. Abdulfattah Qasem Nasser YAHYA Aden Üniversty, YEMEN.
dr_fateh2000@yahoo.com

استنطاقها، وأتبعنا في ذلك المنهج التاريخي والوصفي مع استخدامنا لأسلوب المزاوجة بينهما، وبما أننا أخذنا عن الوقفيات في عصر السلاجقة وهو الذي شمل مساحة أو رقعة واسعة من أرض الإسلام، فإننا سنكتفي بإيراد نماذج الأوقاف الأكثر أثراً على مسيرة الحياة العلمية في هذه الرقعة، وعطفاً على ما سبق فإننا سنتبع في كتابة بحثنا الترتيب الآتي :

1- مقدمة تعريفية عن الوقف .
2- دور السلاجقة في دعم الوقفيات .
3- أهم الوقفيات في العصر السلجوقي ومراكزها .
4- نظام التموين الوقفي ودوره في تشجيع العلماء والمتعلمين في العصر السلجوقي .
5- دور الوقفيات في ظهور المدارس والمراكز العلمية في عصر السلاجقة.
6- التأثيرات العلمية والفكرية للوقفيات السلجوقية.

وإن شاءت الأقدار بعد كل هذا سنوجز أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها في بحثنا المتواضع وسنورد ثبت بقائمة المصادر والمراجع التي استقينا منها معلوماتنا، آملين من الله عز وجل التوفيق والسداد للقائمين على خدمة الإسلام والمسلمين أينما كانوا في بقاع المعمورة، إنه على كل شيءٍ قدير.

مقدمة تمهيدية:

يعتبر العصر السلجوقي بحق عصر النهضة العلمية الإسلامية خصوصاً في المناطق والأجزاء التي انطوت تحت حكمهم أو نفوذهم، كما أن تأثيراته ومؤثراته العلمية التنويرية شملت المساحة التي أنتشر فيها الإسلام، بل وتعداها، فشرقاً الهند والصين، وغرباً دول أوروبا. كما يعتبر الملوك والسلاطين والأمراء السلاجقة رواد حركة النهضة العلمية، فيعود إليهم الفضل في غرس المفاهيم الفكرية الحداثية في زمانهم من خلال فتحهم الأفق الواسع للمعارف والعلوم المختلفة، وإنشائهم وإقامتهم وتشيدهم وتأسيسهم للمراكز العلمية(مساجد- مدارس- مؤسسات تعليمية أخرى)، فأوجدوا بذلك صروح المعرفة الدقيقة، وأعطوا كل تلك المراكز جُل اهتمامهم ورعايتهم، بل وبذلوا قصارى ما عندهم من أجل ذلك، فحموا العلم في عهودهم واجتذبوا العلماء، وتنافسوا في هذا المضمار، ولم يبخلوا يوماً وما فترو ساعة في الإنفاق عليه، وإن من أبلغ مظاهر العناية وإيلاء العلم كفاية الاهتمام تلك الأوقاف التي أوقفت من قبل السلاجقة رجالاً ونساءً من أراض زراعية ودور ومباني وأسواق وقرى ووديان وغيرها من الأوقاف السخية لصالح

المراكز العلمية، حتى أن بعض المراكز العلمية نفسها أوقفت لصالح العلم والمتعلمين .

إن بحثنا هذا ما هو إلا محاولة بسيطة أردنا من خلالها أن نتلمس دور الأوقاف أو الوقفيات في النهوض الفكري أو العلمي الذي شهده العصر السلجوقي، وكيف أن هذه الوقفيات كانت الداعم الرئيس في إقامة المراكز العلمية ورجال العلم من الأساتذة والطلاب، وبفضلها استمرت المراكز والمدارس والمعاهد العلمية في تأدية رسالتها ونشر علومها ومعارفها في أرجاء المعمورة، فحاولنا إبراز أهم تلك الوقفيات وموقفيها والتي كان لها الدور الأكبر في ظهور أعلام العلماء المدرسين ومدارسهم الشهيرة، وقد تقفينا في بحثنا هذا أثر المعلومة التاريخية من مصادرها محاولين استنطاقها، وأتبعنا في ذلك المنهج التاريخي التحليلي والوصفي مع استخدامنا لأسلوب المزاوجة بينهما، وبما أننا أخذنا عن الوقفيات في عصر السلاجقة وهو الذي شمل مساحة أو رقعة واسعة من أرض الإسلام وأمتد حوالي قرن من الزمان وتأثيره تعدى ذلك، فإننا سنكتفي بإيراد نماذج الأوقاف الأكثر أثراً على مسيرة الحياة العلمية في هذه الرقعة مع الإحاطة علماً بأننا سنورد عن بعض أوقاف الأتابكيون وخصوصاً نور الدين محمود زنكي باعتباره واحد من أحفاد السلاجقة الأتراك، وعليه فقد أتبعنا في وريقاتنا هذه النسق التالي :

المبحث الأول :

1- تعريف الوقف وأقسامه .

2- دور السلاجقة في دعم الوقفيات .

المبحث الثاني:

1- أهم الوقفيات في العصر السلجوقي ومراكزها .

2- نظام التموين الوقفي ودوره في تشجيع العلماء والمتعلمين في العصر السلجوقي .

المبحث الثالث:

1- دور الوقفيات في ظهور المدارس والمراكز العلمية في عصر السلاجقة.

2- التأثيرات العلمية والفكرية للوقفيات السلجوقية.

الخاتمة : وقد ضمت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها في بحثنا المتواضع .

قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول :

1- تعريف الوقف وأقسامه:

أ- تعريف الوقف: الوقف لغةً: من مصدر الفعل وقف، ويراد به الحبس ومنه وقفت الأرض على المساكين ووقفت الدابة أي حسبتها، وقيل وقف وأوقف سواء ويطلق المصدر ويراد به اسم المفعول – الموقوف – من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فتقول هذا البيت وقف أي موقوف ولهذا جمع على أوقاف[1] ، أما الوقف في لغة الفقهاء أو إصطلاحاتهم ، فقد جاءت في كثير من مسائل الوقف تعريفاتهم مختلفة أيضاً تبعاً لما يراه كل فريق في هذه المسألة أو تلك، ولا يتسع المقام لبسط القول في هذا، ولكن من أشهر وأخصر تعريفاتهم: أن الوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة [2]. **والوقف** صدقة جارية مستمر نفعها يتصدق بها مالكها قربة لله تعالى ويحدد مصارفها، وأنه يمتنع بيع أصلها أو تملكه أو إرثه لأحد من الناس. كما يتبين لنا من التعريف الأخير أن الوقف يمكن أن يكون على جهة من جهات البر ابتداء وانتهاء وقد يكون على أحد من الناس سواء الذرية أو الأقربين وعند انقطاعهم يكون لجهة من جهات البر يعينها الواقف، وللوقف أجر عظيم، فقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه- بصيغ مختلفة أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال:إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[3]، وقد فسر العديد من العلماء الصدقة الجارية بأنها الوقف[4] . **فالوقف في الإسلام** نوع من أنواع الصدقات التي رغب الشارع فيها وندب إليها، وهو وسيلة من وسائل القرب التي يتقرب بها العبد إلى ربه. ولا فرق في ذلك بين الوقف على جهة عامة

كالفقراء وطلبة العلم ونحو ذلك، أو الوقف على القرابة والذرية، إلا أن السلف الأول من هذه الأمة يفضلون أن يكون آخره للمساكين.

ب– أقسام الوقف:

بحسب نظرة الفقهاء فقد تم تقسيم الوقف إلى قسمين[5]:

– الوقف الذري أو الأهلي.

– الوقف الخيري.

*أما الوقف الذري أو الأهلي: فهو أقل منفعة من الوقف الخيري حيث تنحصر منفعته في فئة قد لا تكون بحاجة ماسة إليها أو يكون نفعه خاصاً منحصراً على ذرية الواقف ومن بعدهم، على جهة بر لا تنقطع[6] ثم إنه قد يكون

له جوانب سلبية تتمثل فيما يحدث بين ذرية الواقف من شقاق وخلافه، وقد شهدت المحاكم في كثير من البلاد الإسلامية قضايا كثيرة تتعلق بالأوقاف الذرية وخاصة مع تقادم الزمن وتفرق الذرية مما زاد في تعقيد قضايا تلك الأوقاف، وهو ما كان مشجعاً لمن يعارضون نظام الوقف بالهجوم عليه في بعض بلدان الإسلام.

* **والوقف الخيري**[1]: هو أكثر فائدة وأشمل نفعاً وهو ذاك النمط الفاعل من الوقف الذي أسهم إسهاماً واضحاً في مسيرة المجتمع الإسلامي عبر العصور فبواسطته شيدت المدارس والمعاهد والمستشفيات ومهدت الطرق وأوجدت مصادر المياه، وأنشأت الملاجئ والأربطة، وأنفق على العلماء وطلبة العلم ووفرت المكتبات، مما أدى إلى ازدهار الحضارة وتقدم المجتمع الإسلامي عموماً. هذا كله بالإضافة إلى الوقف على المساجد من عمارتها وصيانتها والإنفاق على الأئمة والمؤذنين وغير ذلك، وهو الوقف الذي يشمل الوقف العلمي والتعليمي .

تعريف الوقف العلمي:

هو الوقف المخصص للنواحي العلمية، كوقف المساجد ، والمدارس ، والكتاب(الكتاتيب)، والمكتبات، والكتب، وأدوات نسخ الكتابة[2]، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء ، والرُبط، والزوايا، والخانقاهات، والبيمارستانات وغيرها.

ومن المعروف تماماً أن الأوقاف لها دور كبير وفاعل على مر العصور التاريخية للإسلام في نهضة الأمة، وتلبية حاجات المجتمع بكل مكوناته، وتاريخنا الإسلامي مليء بالأوقاف التي لبت مصالح الناس، منذ ظهور الإسلام إلى حاضرنا، ودليل ذلك ما جاء في كتب التراث والتاريخ وجميع الوثائق والمدونات المتعلقة بالأوقاف والتي حفظتها خزائن المكتبات، فعن طريق تلك الوقفيات شيدت المدارس وبنيت المساجد والمكتبات وحفرت الآبار وغيرها[3].

إذاً فالوقف العلمي هو الوقف الذي له الدور الكبير في رفد الحركة العلمية والنهوض بمراكزها من مدارس ومساجد ومراكز بحث ومكتبات ورعاية طلبة العلم وكفايتهم، وغيرها[4].

وعلى ذلك يمكن القول أن أثر الوقف في التعليم لم يقتصر عند علم معين، وإنما شمل أنواعاً مختلفة من العلوم وألوان المعرفة، سواء في ذلك الشرعي منها، والدنيوي من طب وفلك ورياضة وصيدلة وغيرها، مما جعل للوقف دوراً بارزاً في إحداث نهضة علمية شاملة لجميع أنواع المعرفة.

لقد تنوعت خدمات الوقف لدور التعليم والمتعلمين حيث كفلت للمعلمين والمتعلمين شئون التعليم والإقامة والطعام والعلاج، بل وتأمين أماكن إقامة يأوي إليها المسافرون لطلب العلم، وهذا من شأنه أن يوفر وسائل التعليم لجميع فئات المجتمع الواحد، وبالتالي يؤدي إلى وجود أعداد غفيرة من المتعلمين وبتخصصات مختلفة ومتنوعة، ولهذا أستأثر الوقف على التعليم خاصة مكاناً بارزاً في جميع القطاعات التعليمية.

2– دور السلاجقة الأتراك في دعم الوقفيات:

م يبخل السلاجقة وأحفادهم الأتابكيون والأيوبيون في دعم الوقفيات وذلك بغية مرضاة الله ولأداء رسالة الأوقاف العلمية على أفضل ما يكون، حيث

كان ملوكهم وسلاطينهم وولاتهم وأمرائهم ونسائهم وبناتهم، وكذا بعض حواشيهم وأغنيائهم وقضاتهم وفقهائهم وغيرهم ينفقون الشيء الكثير على مراكز التعليم المختلفة، ولذا لعبوا دوراً لا يستهان به في إتمام هذه المراكز لمهمتها الإنسانية والعلمية والحضارية؛ يتضح ذلك من خلال كثرت الوقفيات التي كان السلاجقة يتسابقون لفعل الخير من خلالها، وهذه الظاهرة الملحوظة التي برزت بشكل أكبر ولافت للانتباه في العصر السلجوقي رغم أنها وجدت قبل ذلك، أصبحت تشكل علامة فارقة ومثل يحتذى به في جميع مواطن الإسلام بعد عصرهم، حيث ارتسم خطاهم أبناء جلدتهم من الأتابكيون والأيوبيون في مصر والشام والذين يعتبرون امتداداً فعلياً لحكم السلاجقة الأتراك، وأمتد ليشمل المغرب والحجاز واليمن وغيرها من الولايات الإسلامية، كل ذلك في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية على وشك السقوط أو الانهيار، وكان نجمها الخافت قد شارف على الأفول.

وحقيقة نقول أن السلاجقة بدورهم الريادي الذي لعبوه تجاه الوقفيات ودعمها بسخاء تام إنما كان محاولة منهم لاستنهاض الهمم التواقة لأعمال الخير وكبح جماحها في رفد العملية التعليمية بل والمعرفية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وكذلك لترميم البنيان العلمي الذي كان قد بدأ يتداعى في السقوط، فدورهم الذي لعبوه كان لمعاناً وبريقاً وضوءاً أوهن به السائرون نحو العلم والنهضة الحضارية والإنسانية .

لقد خص السلاجقة بدورهم في دعم الوقفيات أن تكون رسالتها ومهمتها مكملة لمهمة الدولة تجاه المراكز العلمية، وهو الأمر الذي أعطته الوقفيات جُل اهتمامها ورعايتها حتى فرضت أمراً واقعاً وأصبحت من المراسم الإدارية والمالية في نظم الدولة الإسلامية بكل مراحلها وأبعادها المختلفة. ونلمس الدور الذي قام به السلاجقة في دعم الوقفيات من خلال وقفهم الأراضي والعقارات للمنفعة العلمية التي يصاحبها بناء وتعمير المساجد والمدارس والمكتبات والربط والخانقاهات والزوايا والبيمارستانات والحمامات وغيرها .

ثم يأتي بعد البناء دورهم في وقف تلك الأماكن والمنشآت للانتفاع بها في الوجوه المختلفة من الحياة ومنها العلمية على وجه الخصوص وهي محور الارتكاز والقاعدة الأساسية والصلبة التي بنيت عليها ولها الأوقاف.

وعلى الرغم من وجود عينات من الأمراء والولاة ممن حاولوا التعدي على أموال الوقف لكنهم لم ينجحوا إلى حدٍ ماء بسبب التكامل الاجتماعي في وجه أي محاولة للاستيلاء على تلك الممتلكات الوقفية.

إن دور الخلفاء والأمراء والسلاطين والأغنياء في تطوير هذا المنحى الاجتماعي من خلال التقرب إلى الله تعالى وإبقاء ذكراهم طيبة عند الناس، مع هذا كان لهم جميعاً اليد الطولى في إنشاء المدارس والمراكز العلمية كنظام الملك الوزير السلجوقي الذي ملأ بلاد العراق وخراسان بالمدارس حتى قيل أن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة، وأوقف لها الأوقاف الدارة[1]، وعلى نفس المنوال سار الأتابكة وعلى رأسهم نورالدين محمود زنكي السلجوقي باني العديد من المدارس في بلاد الشام، والأيوبيون وفي مقدمتهم صلاح الدين الأيوبي الذي ملأ المدن بالمدارس في الشام ومصر وغيرها.

المبحث الثاني :

1- نماذج لأهم وقفيات المراكز العلمية في العصر السلجوقي:

أ- أوقاف المدارس:

كثيرة هي المدارس التي تم تمويلها بأموال الوقف في العصر السلجوقي، وقد تفاوتت الأوقاف على المدارس حسب مكانة الواقف وما خصصه من مال، ولم تقتصر الأموال الموقوفة على عمارة المدارس فقط بل شملت صيانة المدرسة وتجهيزها بالأثاث واللوازم المدرسية ودفع المرتبات للعاملين فيها، حتى شملت في بعض الأحيان توفير مساكن للطلبة وتقديم الطعام للطلاب والعاملين في المدرسة، كما شملت أحياناً أخرى المعالجة الطبية والملابس كما حدث في بعض المدارس الموقوفة في القدس[1]. والمدارس إذ تتفاوت في إمكاناتها المادية وما تقدمه من خدمات تفاوتت أيضاً في فروع المعرفة التي تدرسها من حيث الكم والكيف، وفي العموم فإن المدرسة كمركز للنشاط العلمي السني تدين بوجودها لأسرة السلاجقة

الذين وقفوا في وجه النشاط الشيعي البويهي والفاطمي، وتحفزوا لوقف الأوقاف على تلك المراكز، ومن الأمثلة على وقف هذه المدارس في عصر السلاجقة الأتراك ما يلي:

– **وقف نظام الملك على المدارس النظامية ببغداد وغيرها:** فقد أشار بهذا الصدد سبط ابن الجوزي أن الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي الطوسي الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد سنة 457هـ، وقف لها سنة 462هـ الأوقاف، ومما وقف: سوق المدرسة، وضياع، وأماكن، وكتب، وأملاك[2]، كذلك توجه نظام الملك إلى إنشاء المدارس في المدن والقرى، وأمدها بالعلماء ووقف لها الأموال والكتب والأبنية لتأمين الموارد لها، وطبق نظام التعليم العام على نطاق واسع[3]، وهو ما أكد عليه ابن جبير في رحلته الذي رأى فيها ببغداد نحواً من ثلاثين مدرسة بقوله:" إنه ما فيها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية التي بناها نظام الملك، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات واسعة للإنفاق على الفقهاء والمدرسين بها، وللإجراء على الطلبة"[4]،وأوقف نظام الملك على المدرسة النظامية بالموصل أوقاف كثيرة أسوة ببغداد[5].

– **وقف أرسلان خاتون على بعض مدارس بغداد:** وهي خديجة بنت داؤد أخو السلطان(طغرل بك) السلجوقي، وقد كانت من الكريمات و الخيرات، وكانت مُحبة للعلماء، ولها جملة أوقاف على محلات خيرية ومنها المدارس في بغداد وغيرها من الممالك الإسلامية[6].

– **وقف أزدوجا خاتون:** وهي زوجت السلطان السلجوقي أوزبك، وقد قال عنها ابن بطوطة: " من أفضل الخواتين وألطفهن شمائل وأشفقهن، ولها مآثر وخيرات دارة على مساجد وتكايا ومدارس في بلادها"[7].

– **وقف زوجة السلطان السلجوقي ملكشاه(ت:**487هـ): وهي تركان بنت طراج الجلالية، بانية ثالث مدرسة أنشئت ببغداد في العصر العباسي، وهي المعنية وغيرها بقول ابن جبير الذي زار الشام في العصر

الأيوبي: " ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار ممن تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال

– **وقف المدرسة الخاتونية البرانية:** وهي المدرسة التي أنشأتها زمرد خاتون التركي بنت الأمير جاولي الدمشقية، أخت الملك الدقاق لأمه وزوجة تاج الملوك يوري(ت:557هـ)، ولها وقوف كثيرة في القُرُبات. وقد أنفقت في حجتها نحواً من ثلاثمائة ألف دينار[2].

– **وقف المدرسة القادرية ببغداد:** مؤسسها الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلاني وقيل الكيلاني(ت:561هـ)، حنبلي المذهب، وقف لمدرسته ورباطه أوقافاً من الأمكنة والدور والأراضي، حتى غدت من أعظم المدارس في بغداد حينئذ إن لم تكن أعظمها، وقادرة على استيعاب عدد كبير من الدارسين، وكان يقصدها العلماء والطلبة على حدٍ سواء[3].

– **وقف نور الدين محمود زنكي على المدرسة النورية الكبرى بدمشق:** حيث وقف لها أوقافاً كثيرة، ومن جملتها: طاحنتان، وسبعة بساتين، وأرض بيضاء، وحمام، ودكانان، وفي موضع آخر جاء ذكر وقف حمامات، ودور، والوراقة، وجنينة الوزير، والنصف والربع من بستان الجورة بالارزه، والتسعة حقوق بداريا مع تحديد التاريخ لآخرها في شعبان سنة567هـ[4].

– **وقف المدرسة البادرائية:** وقد أنشأها بدمشق أبو محمد عبدالله بن أبي الوفاء البادرائي، وهو الملقب بمدرس النظامية ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وقد أوقفها وأوقف عليها أوقاف حسنة دارة [5].

هذا بالنسبة لأوقاف المدارس، على أن هناك مدارس عديدة ليس بوسعنا حصرها جميعها في بحثنا هذا تم **وقفها لصالح العلم والمتعلمين ولما من شأنه ضمان استمرار المراكز العلمية في أداء دورها التعليمي في شتى جوانب المعرفة، ومثال على ذلك:**

* **المدرسة الأمينية:** قيل أنها أول مدرسة بُنيت للشافعية بدمشق، بناها أتابك العساكر بدمشق المسمى أمين الدين كمشتكين بن عبدالله الطغتكيني واقف الأمينية (ت: 541هـ)، وكان قد وقف هذه المدرسة سنة 514هـ، ووقف

عليها غالب ماحولها من سوق السلاح، وقيسارية القواسين ، وكانت تسمى حق الذهب ولها حصة من بستان الخشاب بكفر سوسيا، وغير ذلك[6] .

* **المدرسة الخاتونية البرانية:** توجد هذه المدرسة عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء، وهو مشهور بدمشق[7]، بنيت هذه المدرسة المنسوبة إلى صاحبتها الست زمرد خاتون زوجة الملك بوري المذكور سابقاً وأوقفتها على أصحاب المذهب الحنفي بدمشق[8].

* **المدرسة الخاتونية الجوانية:** أنشأتها عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أُنُر ، وقد أوقفت هذه المدرسة على أصحاب المذهب الحنفي[1].

* **مدرسة الأحناف:** هي مدرسة بناها الملك أبو سعيد محمد بن منصور(من ملوك السلاجقة)أو مستوفي مملكة السلطان ألب أرسلان السلجوقي سنة 459هـ ببغداد بعد أن بنى مشهد أو قبة على قبر الإمام أبو حنيفة، وبنى عنده مدرسة للحنفية، وفي ضننا أن الذي يبني مشهداً ومدرسة لابد أن يوقف لها الأوقاف للصرف على قومتها، وابن جبير وصف ذلك البنيان وصفاً مجملاً فقال: " وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبه تعرف المحلة(أي محلة أبي حنيفه)"[2] .

* **المدرسة الأكزية بدمشق:** بانيها أكز حاجب نور الدين محمود، وقد رسم على عتبة بابها ما جملته بعد البسملة: " وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي اله عنه الأمير أسد الدين أكز في ست وثمانين وخمسمائة"، وأوقف عليها الكثير ممن جاء بعد أكز المذكور، ومنها الدكان الذي بشرقها وقف عليها، والثلث من طاحون اللوان، وذلك سنة 587هـ[3].

* **دار الحديث النورية:** ذكر أبن الأثير في سياق الحديث عن نور الدين محمود زنكي السلجوقي وهو الذي بنى دار الحديث بدمشق، ونُسب إليه، أنه كان قد أوقف الكثير على تلك الدار منها: المباني العديدة وحمام قايماز وفرن وغير ذلك، ويضيف أبو شامة في ترجمة نور الدين أنه وقف على دار الحديث وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كثيرة، وكان المتولي لمشيخة تلك

الدار إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن عساكر الدمشقي، وتولى ابنه نظر الأوقاف[4].

مما سبق يظهر جلياً أن السلاجقة رجالاً ونساءً حكام وخُدام ساهموا برصد الأوقاف للمدارس التعليمية على اختلاف علومها ومشاربها واتجاهاتها الدينية والدنيوية، مما شجع أيضاً رجال العلم وطلابه على التحصيل العلمي **خصوصاً وأن هناك مورداً رئيساً يضمن الاستمرار في عملية التعليم والتسابق العلمي في ذلك العصر ألا وهو الأوقاف** .

ب – أوقاف المساجد:

تعد المساجد مراكز علمية وثقافية في آن واحد، فضلاً عن دورها الاجتماعي والسياسي، وقد كان المسجد أباً شرعياً ومرجعاً طبيعياً، وموجهاً دائماً لكل مؤسسات الدولة وإداراتها، يقوم بدور الرقيب المباشر والعضد الأمين، بعد أن بارك ولادتها ودعم مسيرتها، وكانت وظيفته الأساسية ومهمته الكبرى التي ارتبطت ردحاً طويلاً من الزمن به أكثر من غيرها، وبقيت مرهونة ولائذة به، وكانت عنصراً واضحاً قي عمارته وتكوينه، إنما هي مهمة التعليم بكل فنونه ومراحله وأساليبه ومفاهيمه، ولم تكن الجوامع والمساجد مخصصة للعبادة فقط، وإنما كانت أيضاً واجهة علمية وثقافية وحضارية في المجتمع الإسلامي، فابتداءً من دروس الوعظ والإرشاد وخطب الجمعة والمناسبات، وانتقالاً إلى الحلقات العلمية لكبار العلماء حول أساطين المساجد وفي زواياها، ومروراً بالمذاهب الفقهية والعقائدية

أو اللغوية، وانتهاء بالمراكز العلمية ومنها المدارس أو مادونها فان نشاطها حتى وقت قريب كان يتمحور حول.

المسجد، ويسبح في فلكه، ويدور حوله،غير راغب في التحول عنه، أو الخروج عليه أو البعد عنه، ولذا أهتم المسلمون بأمرها وأولوها عنايتهم ورعايتهم، فقد حظيت بعناية الواقفين حيث سعوا إلى تعميرها وتشيدها وصيانتها والإنفاق على القائمين عليها من الأئمة والوعاظ، والعلماء والمؤذنيين، وطلبة العلم، وكذا تزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط وخزائن الكتب والصرف على العاملين

فيها، ومن المساجد والجوامع التي اشتهرت بحلقتها العلمية على أكمل وجه وكان لها دوراً تعليمياً وثقافياً في العصر السلجوقي مايلي: **مساجد ابن جردة**(ت:467هـ)،في بغداد[1]، **ومسجد الشريف الزيدي**(ت:575هـ)الواقع في درب دينار شرق بغداد، واشتهر بسبب خزانة كتبه الموقوفة فيه، و**المسجد الكبير في صنعاء الشام**، وهو الذي بنته زمرد خاتون بنت الأمير جاولي الدمشقية زوجة تاج الملوك بوري صاحبت المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق والمذكورة سابقاً[2]، و**الجامع النوري في حماه**، ويقع غربي نهر العاص في منطقة متميزة من حماه، بناه السلطان نور الدين محمود زنكي السلجوقي سنة 558هـ، وفرش نور الدين الجامع بالبسط والحصران، وعين له مؤذنين وخدماً وقومه، ورتب له ما يلزمه، وكان للجامع عدة أوقاف منها: القصر الحميدية، وقيسارية الجامع النوري، وأرض خيرات الجمس، ورغم عدم معرفة تكلفة بناء الجامع، لكن التقديرات تتراوح بين ستين ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار[3].

وكان للأوقاف الدور الأكبر في انتشار المساجد في سائر أنحاء العالم الإسلامي في ذلك العصر، والوقف أو الأوقاف هي المصدر الرئيس في الأنفاق على المساجد، فقد كان يوقف على كل مسجد ما يقوم به من أراضٍ ودور، وغير ذلك مما يضمن توفر الريع الكافي لمؤنته والإنفاق على القائمين عليه. فبواسطة الأوقاف بُنيت الكثير من المساجد الرائعة في مدن الإسلام العديدة، وبواسطتها تم ترميم الكثير من الجوامع والمساجد، وتسابق الحاكم والمحكوم على إقامة المساجد والإنفاق عليها وعلى من يقيم ويعمل فيها، ولنا في مآثر السلطان نور الدين محمود زنكي السلجوقي مثلاً في حكام ذلك العصر في هذا المضمار، فقد ذكر أنه بنى في بلاده مساجد كثيرة، ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن أوقافاً كثيرة وجليلة، إذ يروي العماد الأصفهاني أن نور الدين محمود زنكي أمر بإحصاء ما في محلات دمشق من مساجد هُجرت أو خربت، فزاد على مائة مسجد، فأمر بعمارة ذلك جميعه وعين له أوقافاً دارة[4] .

ج- أوقاف الكتب والمكتبات:

من الأمور البديهة أن المدارس والمساجد لابد لها من كتب علمية والتي يصعب توفرها إلا بالدعم المتواصل وتخصيص أماكن محددة لحفظها والعناية بها

وتعيين من يقوم بإدارتها، ولذلك فإن مهمة الوقف لا تقف عند إنشاء المدارس والمساجد، بل أهتم الواقفون بإنشاء المكتبات وتزويدها بأمهات الكتب، وقد انتشرت خزائن الكتب والمكتبات الوقفية والتي تعد من أهم مراكز العلم والنهوض العلمي، فنجد أمثلة لذلك في العديد من مدن الإسلام ففي كرخ بغداد خزانة الكتب التي وقفها الوزير أردشير سنة 451هـ وكان بها عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها: مائة مصحف بخطوط بني مقلة، لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة.

المعتبرة، وأصولهم المحررة[1]. وفي البصرة خزانة كتب وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء[2]، ودار الكتب التي وقفها الوزير أبو منصور بن شاه فردان، وكان بها نفائس الكتب[3]، ووجدت في مدرسة أبو محمد عبدالله البادرائي المسماة بالمدرسة البادرائية في دمشق خزانة كتب نافعة[4]، أنتفع بها رجال العلم، وتعددت مكتبات الأوقاف في المدارس والمساجد ومراكز تعليمية أخرى، وراجت منذ القرن الخامس وتحديداً منذ بداية عصر السلاجقة الأتراك، بحيث يمكن القول بأنه قلما تخلو مدينة من كتب موقوفة، ففي بغداد التي قيل أن مدارسها تجاوزت الثلاثين مدرسة ومعهداً علمياً في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك كانت لكل واحدة مكتبة غنية بالمجلدات والكتب النفيسة الموقوفة في كل فن، ومكتبة المدرسة النظامية تعد أنموذجاً لذلك والتي تعتبر من أوائل المدارس في العالم الإسلامي وأشهر وأقدم مدرسة قائمة في بغداد التي ازدحمت فيها خزائن الكتب الموقوفة، وحوانيت الوراقين، ودكاكين الكتب والمكتبات[5].

وكانت الأوقاف المصدر الأساسي الذي ينفق منه على المكتبات العامة وخاصة مكتبات المساجد وما يلزمها، ويشمل ذلك ترميم البناء، وتزويد المكتبة بالكتب ودفع المرتبات للموظفين القائمين عليها[6]؛ وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها كل أنواع المكتبات الأخرى، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد ليضمنوا حفظها وإتاحتها للطلاب الدارسين[7]، ولما انتشرت مكتبات الوقف في العصر المبحوث(عصر السلاجقة الأتراك) شغف العلماء إلى تعلم العلوم وتعليمها وأبحروا فيها، وكان العالم منهم يتقن ويجمع أكثر من علم، وأرتبط ظهور المكتبات العامة رغم خصوصيتها في

بداية الأمر وانتشارها بمبدأ وقف الكتب أي حبس الكتب على كتب معينة أو طائفة معينة من القراء، ولا يجوز التصرف فيها بحال من الأحوال [8]. وقد تنوع الوقف على الكتب فشمل مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس، وقد نقل في وصف الوزير نظام الملك: " ومتى وجد في بلد مَن تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة، ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب"[9]، ونرى المقرىء النحوي ابن عساكر والمعروف بالبطائحي الضرير(ت:572هـ) ببغداد، يوقف كتبه على مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني أو الكيلاني [10]، وقاضي دُجيل أبوبكر الرطبي(ت:489هـ)،وهو شافعي المذهب يوقف كتبة فأنتفع بها الناس[11]، كذلك نجد إشارة عند ابن الأثير إلى أن مسجد عُقبل في نيسابور والذي كان مجمعاً لأهل العلم، وجدت فيه خزائن الكتب الموقوفة، وكان من أعظم منافع نيسابور[12]، وشملت كتب الوقف المشافي والمراصد، فيذكر أن نور الدين محمود زنكي السلجوقي أوقف على البيمارستان النوري في دمشق جملة من الكتب.

الطبية، بل كانت في المستشفى النوري نفسه خزانتان من الكتب أكثرها في العلوم الطبية [1], وعمت كتب الوقف أيضاً الرُّبط والخانقاهات، كما كان هناك نوع يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم وعلى ورثته، واهتم واقفوا المكتبات بتوفير دخل مادي ثابت لصيانتها وترميمها، والصرف على العاملين بها، كما أنّ بعضهم عيّن ريعاً يصرف منه في إنماء الكتب عبر السنين[2]، ومن الأمثلة على وقف الكتب في الأربطة: رباط المروزي(عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ت:539هـ)، فقد وقف كتب كثيرة في هذه الرباط[3]، وكذلك السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله أوقفت الوقوف على مكتبة الربط المأمونية، وكذا أوقفت زوجة الناصر مكتبة ضخمة أخرى في رباط أنشأته لأصحاب الفتوة والمجاهدين[4] . وقد توافرت في عصر السلاجقة الأتراك عوامل عديدة أدت إلى ازدهار المكتبات، وجُل هذه العوامل أرتبط بعملية الوقف، كبذل السلاطين والأمراء ونسائهم، وحب العلماء، وحب العلم والمعرفة، وسعي طلبة العلم لاقتناء الكتب بنسخها أو استعارتها من المكتبات الموقوفة أو بشرائها ، يُستخلص ذلك من قول ابن الجوزي–رحمه الله تعالى–: ولقد طالعت أكثر من عشرين ألف مجلد من الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية وأنا بعد في طلب

العلم[5] ، ولذلك كله يتبين بجلاء تام أن الكتاب(مصدر المعرفة) حظي بالمنزلة الراقية في قلوب أهل العلم بمختلف مشاربهم وميولهم الفكرية، وأسهمت الكتب والمكتبات في تعزيز المعرفة، وفي النهضة العلمية والثقافية خصوصاً ممن غلب عليهم شحت الإمكانات المالية.

د– أوقاف الخوانق والربط والزوايا:

الخوانق أو الخانقاهات جمع خانقاه، وتكتب أحياناً "حانكاه" وهي كلمة فارسية معربة في الإسلام على ما ذكر المقريزي في حدود الأربعمائة من سني الهجرة[6]. أي أن وجودها صاحب بداية ظهور السلاجقة الأتراك على المسرح السياسي والذين كان لهم الدور الأكبر في بروز ووجود هذه الظاهرة (الخوانق).

وتعد الخوانق من المؤسسات العلمية الدينية فهي دور عبادة وعلم، بحيث تقوم بأدوار دينية وثقافية واجتماعية وكانت دور تعليم شاركت مع دور التعليم الأخرى في تقديم خدمات جليلة للتعليم عبر العصور، وتقوم بتدريس العلوم الشرعية، كما يدرس فيها التصوف علماً، ويمارس سلوكاً، وهي أيضاً من الخدمات التي تكفل الوقف بتوفيرها عنايته بأفراد آثروا الخلوة والانقطاع للتعبد وطلب العلم بعيداً عن مشاغل الحياة، وآخرين حرمهم الفقر والعجز عن مجاراة غيرهم في العيش عن طريق تخصيص دور لإيوائهم وإقامتهم، وهي التي عرفت في الحضارة الإسلامية بالخوانق، والرُبُط، والزوايا، والتي وقف عليها الأوقاف الكافية لتوفير أسباب الراحة والعيش لساكنيها، وقد كان محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري(ت: 463هـ) يُكثر من بناء الخانقاهات[7].

وقد اهتم السلاطين وأمراؤهم ونسائهم وبعض علمائهم وأغنيائهم وحواشيهم بهذه المنشآت في العصر السلجوقي، فشيدوا منها الكثير وحبسوا عليها الأوقاف الغنية والدارّة للصرف عليها وعلى الساكنين بها بما يقوم بخدمتهم.

واشتهرت في بلاد الشام في العهد السلجوقي وخصوصاً في عهد السلطان نور الدين محمود زنكي السلجوقي خوانق عديدة في كل من دمشق وحلب، وغيرها من المدن، وكانت مثار إعجاب الرحالة والمارين بها(يعني الشام) وقد مرّ بها الرحالة الأندلسي ابن جبير، وأعجب بما شاهده فيها، ووصفها بقوله: "... ومن

أعظم ما شاهدناه لهم {يعني الصوفية} موضع يعرف بالقصر، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء في أعلاه مسكن لم ير أجمل إشراقاً منها، وهو من البلد {يعني دمشق} بنصف الميل له بستان عظيم يتصل به... وقد وقفه نور الدين برسم الصوفية مؤبداً لهم"[1].

كذلك نجد من النساء من كانت تبني تلك المراكز وتوقف الأوقاف عليها، ومثال ذلك عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أُنر التي بنت خانقاه للصوفية في ظاهر باب النصر بدمشق، ووقفت عليها وعلى الترب الأخرى أوقافاً كثيرة، وكانت كثيرة البذل والسخاء على طلبة العلم والفقراء[2].

أما الرُبُط، فهي جمع رباط، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو، وحراسة ثغور الدولة الإسلامية، ثمّ استعير الاسم للأماكن التي يتخذها المتصوفة والزهاد للانقطاع فيها للعبادة، ومجاهدة النفس[3]، وتعتبر مراكز علمية ساهمت في النهوض الفكري، وهي أيضاً مأوى للفقراء وعابري السبيل، فهي تتشابه مع الخوانق في الوظائف، وإن كانت هناك بعض الاختلافات الشكلية في إمكانيات كل منهما، وفي تجهيزاتهما إذ يبدو أنّ الخوانق كانت أكبر مساحة وأكثر أوقافاً، وأنها كانت تتسع لأعداد أكثر من الرُبُط باعتبارها معدة لإقامة أطول من الإقامة بالربط.

وقد انتشرت الربط انتشاراً واسعاً في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي في كل من بلاد الشام والعراق وغيرها، واشتهرت تلك الربط بتقديم خدمات اجتماعية وتعليمية رائدة ومن هذه الربط على سبيل المثال:

رباط الحريم الطاهري، أنشأه الخليفة الناصر لدين الله غربي بغداد على نهر دجلة، يقول عنه ابن الأثير:" هو من أحسن الرُبُط، ونقل إليه {يعني الخليفة} كتباً كثيرة من أحسن الكتب"[4]، ورباط الزوزني مقابل جامع المنصور ببغداد، يُنسب إلى علي بن محمود بن إبراهيم الزوزني الملقب بالعُشاري[5]، ورباط شيخ الشيوخ ببغداد يُنسب إلى أبو سعد أحمد بن محمد بن دوست النيسابوري، وهو الذي تولى بناء الرباط، وبنى وقوفه، وبنى وقوف المدرسة النظامية أيضاً، وهو الرباط الذي درس به أبو نصر القشيري سنة 469هـ[6]، ورباط أبو الحسن البسطامي

الصوفي(ت:493هـ)، وهو رباط مشهور على نهر دجلة غربي بغداد، بناه أبو الغنائم بن المحلبان فنُسب إلى مدرسه البسطامي[7]،ورباط الأرجُونية المنسوب إلى والدة الخليفة المقتدي بالله، وقد درس بهذه الرباط أبو الفتوح بن

الأسفراييني سنة 517هـ[1]، ورباط أبو الحسن محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة(ت:542هـ)، حيث كان داراً للشخص نفسه وأوقفه رباطاً للصوفية في بغداد[2]، ورباط قصر حرب بالموصل الذي كان مقصداً لطلاب العلم والأدب في العصر السلجوقي وتحديداً في عصر السلطان نور الدين، إذ عكف فيه الطلبة على أبناء الأثير يدرسون ويحققون، وهم مكفولون في الرباط ينفق عليهم بما وقّف عليه من أوقاف[3].

وفي مدينة مرو رباط المروزي(ت:539هـ) يُنسب إلى عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمدويه أبو المعالي المروزي، وقد وقف في هذا الرباط كتباً كثيرة، والرجل عُرف بأنه كان كثير الصدقة والعبادة[4].

ومن هذه الرُبُط أيضاً، التي اشتهرت بسكنى الفقراء وأهل العلم في المدينة المنورة رباط أقامه الوزير جمال الدين الأصفهاني المتوفى سنة 559هـ (1164م) خصصه للفقراء والزائرين، ووقّف عليه الأوقاف المناسبة للصرف عليه وعلى من به،وبنى الربط في أغلب الأماكن وقصده الناس من أقطار الأرض[5]، وفي هذا يظهر أن التأثيرات السلجوقية انتقلت إلى مدن وحواضر إسلامية عديدة.

أما الزوايا فواحدتها زاوية وهي ركن الدار، ثمّ أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي تتسع لأشخاص قليلين ينقطعون في الغالب للعبادة وهي أصغر من الرباط، وربما كانت جزءاً منها حيث كانت تعدّ لإقامة بعض الصوفية والفقراء والأيتام وغيرهم[6].

وقد انتشرت الزوايا مع انتشار التصوف واتساع نطاقه، وخاصّة في عصر السلاجقة في كل من العراق والشام[7] وغيرها فالمؤسسات الثلاث: الخوانق، والربط، والزوايا تتشابه في معانيها ووظائفها حتى أنّ الأمر قد اختلط على كثير ممن كتب عنها ولم يستطيعوا التفرقة بين مدلول كلّ واحدة منها لدرجة جعلت

المقريزي وهو يعرف كلّ نوع في موضعه، لم يباعد عن معنى واحد، وهو أنها كانت جميعاً بيت الصوفية ومنزلهم[8].

وقد زودت كل من الخوانق والربط والزوايا بما يحتاجه المقيمون بها، ورتبت من أجل ذلك الكثير من الوظائف، حتى أنه وقّفت بداخل هذه الدور مجموعات من الكتب التي شكلت مكتبات جامعة يرجع إليها الطلبة عند الحاجة[9].

وينطبق حال الأوقاف في المدرس والمساجد على مدارس الصوفية المنعوتة سلفاً، فكان أثر الأوقاف فيها كبيراً وحصتها منه وفيرة، إذ تدين الحركة العلمية في زوايا وربط وخوانق الجوامع السلجوقية في استمرارها إلى الأوقاف، حيث كان لكل زاوية وقف يصرف منه على مشاغلها[10].

هـ- أوقاف البيمارستانات:

تعتبر البيمارستانات مراكز علمية ساهمت في النهوض العلمي في مجال الطب والتطبيب والصيدلة وغيرها، فبفضل الأوقاف برزت المدارس الطبية، فلم يقتصر أثر الوقف في الرعاية الصحية عند معالجة المرضى، بل تعداه إلى النهوض بعلم الطب وتعليمه، سواء في داخل البيمارستانات حيث يرتبط التدريس النظري بالعملي، أم في مدارس متخصصة أنشئت لغرض تعليم الطب في كثير من الحواضر الإسلامية، وهو ماسمي في الحضارة الإسلامية بالمدارس الطبية المتخصصة[1]، تلك المدارس التي لم تختلف عن غيرها من المدارس في نظمها والأوقاف الخاصة بها، حيث كانت تلك المدارس تسمى في أغلب الأحيان باسم منشئها أو واقفها، وقلما عُرفت باسم مدرسها أو جهة وجودها، وكان منشئوها يوقفوا عليها من الأوقاف ما يكفي للصرف عليها وصيانتها وللإنفاق على مدرسيها وطلبتها ومستخدميها،كما كان يحدد في حجة الوقف عدد من يشتغلون بهذه الصناعة من المدرسين والطلاب وصفاتهم، فمثلاً: أشترط الواقف لإيوان الطب في المدرسة المستنصرية ببغداد أن يكون بها عشرة من الطلاب المسلمين يدرسهم طبيب حاذق مسلم[2]، ولم يكن العصر السلجوقي ليعدم من هذه الظاهرة الصحية العلمية، بل أنهم(السلاجقة) رواد هذه الحركة ومطوروها، ولنا في البيمارستان النوري بدمشق أكبر مثل على ذلك وصاحبه نور الدين

زنكي(ت:569هـ) ذات السلالة السلجوقية الأصلية، فقد أهتم هذا الرجل بشئون المرضى وتخصيص دور العلاج لهم، فقام ببناء البيمارستانات في أكثر من مكان، وكان أعظمها الذي في دمشق كما يذكر ابن الأثير بقوله:" فإنه عظيم كثير الخرج، بلغني أنه لم يجعله وقفاً على الفقراء فحسب، بل على كافة المسلمين من غني وفقير"[3]، وكان قد أنشأه في دمشق ضمن حركته النشطة في بناء المدارس والمرافق العامة في كافة أرجاء مملكته، وقد وقف عليه جملة من الكتب الطبية، وكان الخرستانين اللذين في صدر الديوان[4]، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقد أولى ذووا الجاه والسلطان في العصر السلجوقي اهتمامهم بالطب وأصحابه، فالوزير أحمد الملقب بعزيز الدين الأصفهاني أحد أبناء صاحب كتاب خريدة القصر أنشأ بيمارستاناً في المعسكر السلطاني، وزوده بالأدوات والأطباء والخدم، وقد كان هذا الرجل تقياً كثير الصدقات والمبرات، فقد بنى بمحلة العتابين ببغداد مكتباً للأيتام ووقف عليه وقوفاً دارة، وكان كثير الاهتمام بالعلم والأدب فبنى دار كتب بأصبهان[5]، كذلك أنشأ كيكارس السلجوقي ابن أرسلان سنة614هـ مستشفى المدرسة النظامية في سيواس من بلاد الروم، ومن هذا يفهم أن دور الأوقاف لم يقتصر على ناحية معينة، بل شملت نواحي الحياة المختلفة الدينية والمدنية والعسكرية والأخيرة كانت مركز لتعليم الفنون والعلوم العسكرية، ولهذا أنشئت لها البيمارستانات وأوقفت لها الأوقاف.

2- نظام التموين الوقفي ودوره في تشجيع العلماء والمتعلمين:

مما لاريب فيه أن ظاهرة كثرة المراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك لم تكن قائمة وفق إطار سياسة تعليمية مرسومة من الدولة أو السلاطين، بل كانت الدوافع الدينية والسياسية هي السبب الأهم أو الرئيس في إقامة تلك المراكز، وهذا ما أعطى الأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المراكز العلمية جميعها، ودعمت نظامها، وكان الريع الذي تقدمه الأعيان الموقوفة على المراكز المعنية شهرياً أو سنوياً، نقداً أم عيناً، هو الضمان لاستمرار العمل في المركز، حيث كانت تدفع منه مرتبات موظفي المركز التعليمي وطلبته بحسب شروط الواقف[1].

لقد توزعت الأوقاف الكثيرة على مراكز ذلك العصر، وكان ذلك سبب توجه المدرسين إليها، وإقبال طلبة العلم عليها[2]، وابن جبير في صدد حديثه عن الأوقاف المخصصة للعلم يذكر المساجد الشرقية والغربية في بغداد مثلاً بأنها لا يأخذها التقدير فضلاً عن الإحصاء، وكانت المساجد، كما يقول ابن جبير، مكاناً لتعليم القرآن لطلبة العلم الذين كانوا يفدون إلى المساجد لهذا الغرض، وكان لهؤلاء التلاميذ، ولمقرئيهم مرتبات خاصة يستحقونها في مقابل تدريس القرآن ودراسته[3].

إن وجود أوقاف سخية الإيرادات وإدارة جيدة وسلطة سياسية مهتمة تمثل العامل الأهم في ديمومة عمل المراكز العلمية واستمرارها في تقديم خدماتها، فقد أشير إلى أن ثمن الأوقاف التي أوقفها الوزير نظام الملك السلجوقي على مدارسه التسع كان 600,000 دينار، أي نحو 75,000 دينار لكل مدرسة، لذلك استمرت معظم هذه المدارس إن لم يكن جميعها أكثر من ثلاثة قرون بعد وفاة صاحبها نظام الملك وخصوصاً نظامية بغداد[4]؛ ولم يدخر السلاجقة الأتراك جهداً في توفير الإمكانات المادية التي تساعد شبكة المدارس والمراكز العلمية الأخرى على النهوض برسالتها على أكمل وجه، ولذا نراهم ينفقون عليها بسخاء ويخصصون لها الأوقاف الواسعة، فيذكر ابن الجوزي أن نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعا وأملاكاً، وسوقاً بُنيت على بابها، وأنه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطاً من الوقف، وأجرى للمتفقهة (الطلاب) أربعة أرطال خبز يومياً لكل واحد منهم، أما مدرسة أصفهان فقدرت نفقاتها وقيمة أوقافها بعشرة آلاف دينار سنوياً، وكان لنظامية نيسابور أوقاف عظيمة، وقد اهتم نظام الملك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس[5].أما الريع الذي كانت تنتجه الأوقاف المخصصة لنظامية بغداد، فقد ورد أنه كان 15000 دينار في العام الواحد[6]،وقد كان ذلك الريع كافياً لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلبة، وكان يشمل مؤونة طعامهم وملابسهم وفرشهم، وغير ذلك من ضرورات معاشهم حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل ممن لا يحصون عدداً[7].

وتشير بعض الروايات التاريخية أن بعض طلبة العلم في النظامية كانت لهم غرف خاصة، إذ روي أن واحداً من طلابها، ويُدعى يعقوب الخطاط(ت:

547 هـ)كانت له غرفة، فعندما توفى حضر متولي التركات، وختم على غرفته في المدرسة[1]،كما حرص نظام الملك على توفير الحياة المعيشية الكريمة لطلاب مدارسه، وأيضا تهيئة المناخ العلمي الذي يساعدهم على الدراسة والبحث، حيث اجتهد في توفير المراجع العلمية داخل هذه المدارس، فكانت في كل مدرسة مكتبة تضم أحسن المراجع، يتولى أمرها قوام على شؤونها، وكان نظام الملك يتفقد هذه المدارس خاصة نظامية بغداد، ففي سنة 479 هـ وقيل 480 هـ زار هذه المدرسة وجلس في خزانة كتبها، وقرأ بها كتباً، ثم شارك في التدريس، فقرأ الفقهاء عليه شيئاً من الحديث الشريف، وأملى عليهم بعضاً منه[2]؛ وكان من الطبيعي أن تؤدي كل هذه الجهود في تشييد هذه المدارس وتيسير سبل العلم فيها، وتوفير الحياة الكريمة بداخلها، إلى رواج سوق العلم بها، فأقبل عليها طلاب العلم والجاه حتى بلغ عددهم في نظامية بغداد سنة 488هـ ثلاثمائة طالب كانوا يتفقهون على الإمام الغزالي، أما نظامية نيسابور فكان يجلس بين يدي إمام الحرمين المعروف بالجويني(عبدالملك) كل يوم نحو من 300 من الأئمة والطلبة. ولم يقتصر في الواقع الإقبال على هذه المدارس النظامية الشافعية على الطلاب فقط، بل شمل أيضاً الكثير من الأساتذة الذين تطلعوا إلى التدريس بها حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يضحي في سبيل هذه الغاية بالتخلي عن مذهبه، ومن هؤلاء: أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان الفقيه المعروف بابن الحمامي (ت. 518 هـ) كان حنبلياً، فانتقل إلى المذهب الشافعي، وتفقه فيه على يد أبي بكر الشاشي والغزالي فجعله أصحاب الشافعية مدرساً بالنظامية، وكان قد سبقه أبو المبارك الملقب بالوجيه النحوي الحنفي، لما شغر كرسي تدريس النحو لم يجد حرجاً من أجل الفوز بالكرسي أن ينتقل إلى المذهب الشافعي، وبالفعل حازه[3]. أما فيما يتعلق بالأوقاف على المدرسة النورية الكبرى التي بناها نور الدين محمود في دمشق السورية ضمن المدارس الأخرى العديدة التي شيدها، فقد سجلت هذه الأوقاف على الحجر الذي يكون العتبة العليا لباب المدرسة، والكتابة الموجودة عليها واضحة ويمكن قراءتها حتى يومنا هذا، وفي هذه الوثيقة، وبعد البسملة، نعرف أن الذي أمر ببناء هذه المدرسة هو الملك العادل الزاهد/ نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر (ضاعف الله ثوابه)،ونعرف أنه أوقفها على

أصحاب الأمام سراج الأمة أبي حنيفة (رضي الله عنه)، ووقف عليها، وعلى الفقهاء والمتفقهة بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح، والحمامين المستجدين بالوراقة، والوراقة بعوينة الحمى، وجنينة الوزير، والنصف والربع من بستان الجورة بالأرزه، والأحد عشر حانوتاً خارج باب الجابية، والساحة الملاصقة من الشرق، والتسعة حقول بداريا، على ما نص وشرط في كتب الوقف رغبة في الأجر والثواب، وتقدمه بين يديه يوم الحساب، ويضيف: فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم، وذلك في مدة أخرها شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة[4]. ومعنى ذلك هو: أن هذه الأوقاف تسلم إلى المدرسة النورية الكبرى بدمشق، في خلال مدة أخرها شهر شعبان سنة567هـ.

إن هذه الوثيقة التي احتفظ لنا التاريخ بها تعتبر وثيقة مهمة تبين لنا بوضوح الأوقاف التي عينها نور الدين للمدرسة النورية الكبرى، وقد ظهر منها أن ريعها الوفير كان يكفي للإنفاق على الطلاب والمدرسين إنفاقاً سخياً متواصلاً. ويمكن لنا أن نعطي مثالين آخرين لنؤكد هذه الحقيقة:

الأول : أن المؤرخ أبو شامه ذكر في كتابه أن نور الدين وقف على المدارس الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وعلى أئمتها ومدرسيها وفقهائها أوقافاً كافية[1].

الثاني: ذكر أبن جبير إن من مناقب نور الدين محمود زنكي أنه عين للمغاربة الذين كانوا يلحقون بزاوية المالكية بالمسجد الجامع أوقافاً كثيرة، منها: طاحونتان، وسبعة بساتين، وأرض بيضاء، وحمام، ودكانان بالعطارين، وجعل أحد هؤلاء المغاربة مشرفاً على هذه الأوقاف[2]، وهذا يعني أن الأوقاف السخية لم تقتصر على المدارس وإنما شملت أيضاً المساجد والمراكز العلمية الأخرى، مما دفع برجال العلم من العلماء والمتعلمين إلى ارتياد هذه الصروح العلمية التي تألقت في عصر السلاجقة الأتراك وازدادت بهاءً وجمالية، ورجل كنور الدين خرّجته مدرسة الإسلام الرحيبة الشاملة لا يمكن إلا أن يرى في العمل والتزيين في المضمون والشكل في الوقائع والجماليات وجهين لعملة واحدة، فقد أوقف بستان الميدان والغيضة التي تليه في دمشق لتطييب جوامع دمشق ومدارسها لكي يظل هواؤها معبقاً بالروائح الطيبة والشذى العبق، وكان على اهتمام كبير بهذه المسألة

بحيث إنه حدّد مصارف وقفه المذكور: نصفه على تطييب جامع دمشق، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء، جزآن على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية والثمانية أجزاء الأخرى على تطييب المساجد التسعة في دمشق وأطرافها. وجلب للمدرسة الحلاوية التي بناها في حلب[3]، من مدينة أفاحية، مذبحاً من الرخام الملكي الشفاف الذي إذا وضع تحته ضوء شفّ من وراء الرخام، ولما دخل قلعة دمشق سنة 549هـ أنشأ بها داراً عامة في غاية الحسن سماها دار المسرّة .

ولا شك أن كثرة الأوقاف على المدارس والمراكز العلمية الأخرى، ولاسيما في عصور الازدهار المادي للحضارة الإسلامية، وأخص هنا عصر السلاجقة الأتراك، أسهم في تحقيق مجانية التعليم حيث لم يكن ممكناً تفرغ الأساتذة والمعلمين والعلماء للتعليم لو لم تؤمن معيشتهم على وجه يكفيهم[4]، ولم يقتصر مورد هذه المراكز على الأوقاف الكثيرة التي كانت تخصص لها، بل كان للعلماء إقطاعات خاصة يمنحها لهم الأمراء ومرتبات تصرف لهم من خزانة الدولة[5]. كما أن من مظاهر اهتمام الهيئة الحاكمة السلجوقية بالنشاط العلمي ما نقرؤه من أن السلاطين أنفسهم كانوا يهتمون بالأخذ بنصيب من الثقافة بالقدر الذي تمكنهم منه ظروفهم، فقد روي عن الواعظ المغربي أبو القاسم البكري أنه ورد بغداد سنة 475هـ فقصد الوزير نظام الملك، فأحبه ومال إليه، فأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظامية[6]، وعندما سمع نظام الملك من أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي وهو يعظ في مدينة مرو، وعرف محله من الفقه والعلم، حمله إلى أصبهان، وصار مدرساً بمدرسته بها، فنال جاهاً عريضاً ودنيا واسعة، وكان نظام الملك يتردد إليه ويزوره[7]، ومن حب السلاجقة للعلماء وتشجيعهم أن نظام الملك قصد

القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوي، الفقيه الشافعي، وكان رجلاً عابداً خيراً يُدّرس الفقه، فأستمع نظام الملك لوعظه حتى بكى[1]، وفي ضوء هذا يمكن القول أنه كان يُوجد اهتمام كبير بالعلم والعلماء خلال فترة ازدهار الدولة السلجوقية في عهدي ألب أرسلان والسلطان ملكشاه، حيث كان الوزير نظام الملك يَعمل في الدولة خلال حكمهما والذي قام بجهود كبيرة لدعم العلم والأدب، وقد أعطى نظام الملك رواتب منتظمة للعلماء في جميع أنحاء الدولة

لتشجيعهم على عملهم، وقد بلغ عدد من يَصرف لهم المال 12,000 عالم وأديب، كما اهتم بمجالسة أهل العلم فكانت مجالسه تعج بهم. واهتم أيضاً بإنشاء المدارس النظامية، فأسس العديد منها خلال عهد ألب أرسلان في أنحاء العراق وفارس من بغداد والبصرة إلى نيسابور وهراة، وأسس المكتبات أيضاً وملأها بكتب من مختلف مجالات العلم. حتى أن ابن الجوزي قال عنه أنه: "كانت سوق العلم في أيامه قائمة والعلماء في عهده مرفوعي الهامة"[2]، وقيل عن السلطان أخو سليمان شاه السلجوقي، أنه كان قد حضر وعظ العبادي رسول السلطان سنجر السلجوقي إلى الخليفة وذلك في بغداد سنة 542هـ، وكان السلطان سنجر أيضاً يزور الفقيه عبدالرحمن بن عبدالصمد بن أحمد بن علي النيسابوري(ت: 550هـ)، وقد كان زاهداً عابداً، فقيهاً، مناظراً، فكان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه؛ وكان السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه(ت:556هـ)مقرباً للعلماء محسناً إليهم راجعاً إلى قولهم[3]. كما قيل عن أتابك عز الدين مسعود بن مودود السلجوقي أنه كان كثير الخير والإحسان والصلة والإكرام للشيوخ، وكان يرجع إلى قولهم، ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم،[4]، كذلك فأن قسيم الدولة آقسنقر البرسقي عُرف بأنه كان مملوكاً تركياً خيراً، يحب أهل العلم والصالحين، وأيضاً الوزير جلال الدين أبو علي بن صدقة أنه كان محباً لأهل العلم، مكرماً لهم، ومن حب السلاجقة للعلم وأهله نجد أن الأمير محمد بن باغي سيان قد بنى بإقطاعه في أذربيجان عدة مدارس[5]، على أن من أبلغ الأمثلة على ذلك الحب للعلم والعلماء، ما قام به نظام الملك حين بنى مدرسة نظامية في الموصل بالقرب من الجامع النوري، بناها للقاضي أبي بكر بن محمد بن أبي علي الحسن الخاندي المعروف بالسديد، وأوقف عليها الكثير من الأوقاف التي توازي أوقاف نظامية بغداد[6].أما البساسيري واسمه (أرسلان) وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة نراه يُحسن إلى الناس ويجري الجرايات على المتفقهة[7]، وبالجملة فإن السلاجقة خصوا الجوانب التعليمية(المراكز العلمية) بشيء من التركيز والعناية لبالغ أهميتها، وليس لنا إيجاز عن ذلك بأكثر مما قال ابن الأثير عنهم وعلى وجه التحديد عن نور الدين محمود السلجوقي أنه: بنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق، وبنى الخانكاة

للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة، ويقول أبن الأثير: "سمعت أن حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صوري. وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويعطيهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه، وينبسط معهم، ولا يرد لهم قولاً، ويكاتبهم بخط يده، وكان وقوراً مهيباً مع تواضعه، وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب"[8].

1- دور الوقفيات في ظهور المدارس والمراكز العلمية في عصر السلاجقة الأتراك:

لا يمكن إغفال الدور الذي ساهمت به الوقفيات السلجوقية في إثراء الحركة العلمية والثقافية في ديار الإسلام، فقد وفرة الوظائف المنتظمة للعاملين على صيانة ورعاية المراكز العلمية الموقوفة والموقوف عليها، ووفرت كتب العلم ومصادر التعلم، وساعدة في حفظ مصادر المعلومات من الضياع للمساعدة في نشر العلوم بين الأجيال القادمة، وتوفير مصادر المعرفة المختلفة، وجمعها، وحفظها، وتصنيفها، وترتيبها، والمساعدة في نشر الأخلاق الفاضلة، وترسيخها بين أفراد المجتمع، وتقوية الروابط الإنسانية، وتقوية الروابط بين العلماء.

لقد أدت أروقة المساجد والجوامع دوراً بناءً في الحركة التعليمية قبل ظهور المدارس[1]، فضلاً عن كونها المؤسسة الأولى في الدولة الإسلامية كانت دار علم[2]، ومركز للحلقات العلمية والأدبية يلتقي بين أروقتها المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول عقيدتهم الدينية وأركانها[3]، وقد كان للمساجد والجوامع أثر عميق في إنجاب مجموعات متعددة وأعداد كثيرة من الأجيال العلمية التي برزت في ميادين مختلفة من العلوم، ولهذا أوقف الخلفاء والأمراء والتجار والمحسنون الكثير من الأوقاف على المساجد لخدمة طلبة العلم الذين يترددون إلى هذه الحلقة العلمية أو تلك[4]. فظهرت من جراء ذلك عديد المدارس المختلفة التي ضربت أسمها وبجلت أثرها في أنصع صفحات التاريخ وليس أدلنا على ذلك من المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الذي يقول عنه السبكي:" أنه بنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصفهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل"[5]، ويقول الذهبي عنه:" ...، مجلسه عامر بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى

ببغداد وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم وأدر على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، ..، وبنى الوقوف، وجذب الكبار إلى جانبه.."[6].

لقد بذل السلاجقة وعلى رأسهم الوزير نظام الملك ونور الدين زنكي جهوداً مضنية للنهوض بالحركة العلمية وتجديدها، وذلك عبر شبكة المراكز العلمية التي أنشئوها في كل مكان، وكان لها الأثر الكبير في الحياة العقلية الإسلامية، وفي التنظيم التعليمي، الذي أسس لنظام تربوي جديد يقوم على أساس التخصص، وأيضاً توفير البيئة المناسبة للعلم والتحصيل العلمي للعلماء والطلبة على حد سواء.

لقد أعطى ازدهار الأوقاف السلجوقية للنواحي العلمية والأدبية فرصة لظهور مدارس ومراكز مختلفة في شتى فنون المعرفة، فلمع منها علماء أفذاذ أبدعوا وأتقنوا صناعة العلم بكل محتوياته، وصنفوا كتب مدهشة وعالية الأهمية من الأعمال العلمية الفنية والأدبية، ومن الشواهد على ذلك الآثار الباقية لفن عمارة المساجد والمدارس والخانقاهات والربط وغيرها، وكذلك آثار الأدب التركي السلجوقي مثل بعض المعاجم اللغوية والحكايات الملحمية

في الفن السلجوقي والتي يمكن من خلالها ملاحظة ظهور الناس كمواضيع للوحات والأعمال الفنية، ويَعتقد الدارسون حالياً أن ما ولّد هذا التطور هو تغير فلسفتهم الإنسانية التي تتمثل في التساؤل حول دور الجنس البشري في الكون والرغبة في الحصول على المعرفة وتطوير نظام أخلاقي، ولولا الأوقاف لما ظهر ذلك التميز العلمي، ولما برزت تلك المراكز وأهميتها التعليمية بل المعرفية برمتها.

2– التأثيرات العلمية والفكرية للوقفيات السلجوقية:

رغم انشغال السلطة الحاكمة السلجوقية بالعالم الخارجي من خلال مقارعة الأعداء والدفاع عن ديار الإسلام، وفي نفس الوقت إيصال رسالة الإسلام إلى أقصى ما يمكن إيصاله في فترة الفتوحات والتوسعات الإسلامية، إلا أن النظرة العميقة للعلم وأهميته أوجد رجالاً خيرين في العصر السلجوقي قاموا بسد هذا الفراغ عن السلطة الحاكمة، فعنوا بالإكثار من زيادة الوقف على مجالات العلم المختلفة، الأمر الذي ساهم في نشر مراكز العلم والمعرفة ومجالس العلماء في كل

مكان والتي كان يحضرها كبار العلماء ويقيمون فيها المناظرات، ومن أمثلة ذلك: دار سابور الذي قصده وأقام فيه الفيلسوف والشاعر أبو العلاء المعري(ت:499هـ)[1]، وكانت تلك المجالس ميداناً لتنافس العلماء، ووسيلة لهم لشغل المناصب العامة أو العمل كمؤدبين لأبناء الخليفة، كما ساعدت المراكز الوقفية على تقدم الحركة العلمية واتساع خطاها، وكذلك قدمت خدمات كبيرة للباحثين وزودتهم بمصادر المعرفة اللازمة لأبحاثهم.

لقد كان للوقفيات في العصر السلجوقي أثر واضح في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بدءاً بإنشاء نظام الملك للمدارس والمساجد والمكتبات ومروراً بالمراكز العلمية العديدة التي شيدت في مدن الإسلام المختلفة، ومن خلال مطالعة تاريخ المراكز الوقفية في مدن الإسلام في العصر السلجوقي، يتضح فضل الأوقاف في ازدهار الحياة الفكرية، ورغم انتهاء عصر السلاجقة الذي دام ما يقارب القرن من الزمان، إلا أن تأثيرات ذلك العصر أحدث هزة عنيفة في مسلمات الحياة العلمية التي كانت بعضها تعدو مقيتة وهدامة، فأنعشوا الحياة العلمية حينها بسيل جارف من الأفكار النيرة التي صححت المفاهيم المغلوطة لدى بعض الفرق والطوائف والأحزاب أكانت سياسية أم دينية، واستمر سريان ذلك إلى ما بعد عصرهم بقرون طوال.

وترك الوقف العلمي آثاراً جليلة على الحركة العلمية بشتى أنواعها، وعلى الحياة الاجتماعية لمن أرتاد الحياة العلمية بلا استثناء، وترك آثاراً سلبية من خلال سوء استخدامه[2]، وعلى ضوء ذلك يمكن لنا في هذا المقام أن نبرز أهم التأثيرات العلمية والفكرية لمراكز الأوقاف السلجوقية دون الخوض في تفاصيلها:

1- ساهمت الأوقاف في نشوء وإبراز المراكز العلمية(مساجد، مدارس، مكتبات، ربط) وغيرها، وتأمين الظروف المناسبة للمتعلمين والعلماء واستمرار أداء الرسالة العلمية لتلك المراكز من خلال تقديمها الغذاء، والسكن، والعلاج لجميع مرتاديها، وبالتالي تهيئة المناخ للتفرغ العلمي، ومجانية التعليم[3]، والمدارس النظامية في المدن المختلفة، وكذا مدارس نور الدين زنكي خير مثال على ذلك.

2- أن الوقف العلمي من أهم العوامل والأسباب في تنشيط الحركة العلمية، ونشر التعليم، والارتقاء بالمستوى

الثقافي ومكافحة الأمية، وبناء الحضارة الإنسانية الإسلامية، وقد تربى في أحضان المراكز العلمية الموقوفة والموقوف عليها الكثير من الفقهاء والمفكرين والعلماء والأدباء والدعاة والمصلحين الاجتماعيين، فكانت الأوقاف عوناً لهم ومدداً في وقت عز فيه المال عندهم، وفي ظروف عصيبة من التاريخ كثرت فيه الفتن

التي يموج بها العالم الإسلامي، فقد ظهر من مشاهير العلماء في العصر السلجوقي والذين لعبت المراكز العلمية المذكورة سابقاً وأوقافها دوراً فاعلاً في تكوين شخصيتهم العلمية والاجتماعية والثقافية عدد كبير جداً فنشير بمثال فقط لبعض الذين درسوا ومارسوا التدريس في المدرسة النظامية أمثال: الإمام قطب الدين الشيرازي، وهو أول من درّس فيها، والإمام الغزالي، ودرس بها أربع سنوات مابين سنتي 484هـ إلى 488هـ، والإمام الجويني، وأبو إسحاق الشيرازي، وأبو نصر الصباغ، وأبو القاسم الدبوسي،وأبو نصر بن أبي القاسم القشيري، وأبو سعيد النيسابوري، والسهروردي، والإمام أبوبكر الشاشي، وابن البرهان، وأبو يعقوب الهمداني، وابن الجوزي، وأبو الفتوح الأسفراييني، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الشهير بإلكياهراسي وغيرهم[1].

3- أن الوقف العلمي ظل يمثل مورداً يدر على المراكز العلمية ومرافقها المال والعطاء المادي الذي كفل استمرارية المركز العلمي لقرون دون توقف، وكان هناك من أصحاب الخير من يضيف أوقافاً إلى الأوقاف السابقة ، لصالح مدرسة أو مسجد أو خانقاه أو ربط فتزداد واردات الأوقاف، إلى أن نهبت، أو تحول إلى القراءة و(الدرس) على الترب والأموات، فصار الجهل هو الغالب، وجاءت الدول المتحكمة فأخذت الأوقاف لا لتعيد إحياء ما أنشيء من أجله، بل لتحوله إلى خزينة الدولة.. وقد أستغل الناس هذا الوضع للاستيلاء على ما بقي من الأوقاف، وإدعاء تملكهم له[2].

4- حافظت المراكز الوقفية على العقيدة الإسلامية الغراء من الانجراف بسيل الأفكار الهدامة العقائدية والمذهبية.

5- كانت موضوعات المعرفة في المراكز الوقفية العديدة عامة في فنون العلم جميعه.

6- شجعت المراكز الوقفية طلاب العلم وكذا بعض العلماء على التنقل من مركز تعليمي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، بغية الحصول على علم جديد.

7- جنبت المراكز الوقفية الطلبة والعلماء من التبعية للسلاطين والحكام وأسر هباتهم، فتعلموا وعلموا وكتبوا بحرية تامة منتقدين كل ما لا يمت بصلة للعقيدة والخلق القويم للإنسان المسلم.

8- لعبت المراكز الوقفية في مدن الإسلام خلال العصر السلجوقي دوراً لا يستهان به في الحفاظ على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي، فلبت بذلك رغبات المجتمع وحاجاته قرون عديدة، وأدت بذلك دورها في إعداد الفرد للحياة وفقاً للمعاني الأخلاقية والإنسانية التي حملها الإسلام ودعا إليها[3].

9- زودت المراكز الوقفية المجتمع بحاجته من العلماء في فنون العلم المختلفة، من قرآن، وحديث، وتفسير، وفقه، وأدب، وشعر، ولغة، ونثر، وطب، ورياضة، وصيدلة، كما تخرج من تلك المراكز العلمية الموظفين والتجار ومختلف المهن الأخرى، فكانت حاضنة للعلوم جميعها.

10- أمدت المراكز الوقفية إدارات الدولة بالعاملين في جهازها الإداري، نتيجة التعدد في المرافق والزيادة في الوظائف، وكانت حاجة الدولة تستدعي أن تأخذ لأعمالها من بين خريجي تلك المراكز والمدارس[4].

11- أن النساء كان لهن دور فعال في الوقف العلمي وبشكل لافت للانتباه في عصر السلاجقة الأتراك، سواءً

من نساء القصور، أو نساء الوجهاء والعلماء، وحتى الجواري والإماء. وهذا يدل على رفعة ما كانت تفكر فيه المرأة في ذلك العصر.

12- احتلت المراكز الوقفية الريادة في غرس معاني الإخلاص والعطاء والإنفاق وشد العضد بين الناس داخل المجتمع المسلم، وهو الأمر الذي جعل السلاطين والأمراء والوزراء والحكام والولاة ونسائهم وحواشيهم وتجارهم وأغنيائهم، وحتى رعاياهم يتسابقون في تعمير وتشييد وإنشاء مراكز العلم المختلفة والوقف عليها وعلى من بها من معلمين ومتعلمين وموظفين.

الخاتمة:

أسهمت الأوقاف السلجوقية مساهمة فعالة في ظهور المراكز العلمية في مدن الإسلام المختلفة والتي كان لها الأثر الأكبر في النهضة الفكرية التي شهدتها الأمة الإسلامية، وقد كانت الأوقاف الضامن الأساسي في استمرار أداء المراكز العلمية لمهامها التعليمية والتربوية والاجتماعية وغيرها، وهي العمود الفقري للمراكز العلمية من مساجد ومدارس وغيرها، والتي كانت مراكز موقوفة تقدم التعليم مجاناً من ريع أوقافها بالإضافة إلى مرتبات ومخصصات للمعلمين وللطلاب، كما أن العصر السلجوقي كان عصر العلوم وظهور العلماء الأجلاء، وهو العصر الذي تعددت فيه وتنوعت مصارف الوقف على العلم والتعليم مما يصعب حصره، وأيضاً العصر الذي شهد العلم فيه رواجاً عالياً وذلك بفضل رجاله ونسائه الذين أولوا مراكز البحث العلمي والطلبة والمدرسين عنايتهم التامة ورعايتهم الكاملة، وذلك بتخصيصهم الأوقاف السخية، ومن جراء ذلك ظهرت مراكز البحث العلمي في كل مكان، ونشطت أو ازدهرت حركة التأليف والترجمة بسبب كثرة خزائن الكتب والمكتبات وتنوع أصنافها، والعناية بها والقائمين عليها، وبعد ذلك انتشارها في أغلب مدن الإسلام الكثيرة والكبيرة .

ويمكننا القول أن الأوقاف في العصر المبحوث كانت بمثابة الدعامة الرئيسة للحركة العلمية والحضارية في العالم الإسلامي ولقرون عديدة قبل أن تقل منابعه أو تجفف، كما هو الحال في معظم البلاد الإسلامية اليوم. كما أن الأزمات التمويلية التي أصابت نظم التعليم في العالم العربي والإسلامي خلال فترات حديثة متعددة، هي مبرر لإعادة الاعتبار لواحد من أهم أساليب التعليم التي أفرزتها الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة، والعصر السلجوقي مدعاة فخر

ومضرب مثل في ذلك، أي نظام الوقف الإسلامي على المراكز العلمية، حيث ينظر كثير من الباحثين إلى نظام الوقف باعتباره أحد الأسس المهمة للنهضة الحضارية الإسلامية الشاملة بأبعادها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، لذا فقد اتجهت الأنظار إليه مرة أخرى بعد تغييب دوره العظيم لعقود طويلة، باعتباره البذرة الصحيحة لبداية النهضة الشاملة لجميع مجالات الحياة في الأمة المسلمة. ولا شك أن البداية الصحيحة لعودة الوقف إلى مكانه الفاعل في العجلة التنموية الشاملة يتمثل في إثارة الشعور واستنهاض الهمم نحو تجلية حقيقته والدور الذي قام به سابقاً، وذلك عبر إعادة إحياء دور الوقف من أجل المحافظة على المراكز العلمية وغيرها وضمان استمرار وجودها.

نسأل الله أن يكون في تنظم هذه الندوة المباركة في جامعة سلجوقيا وبدولة تركيا العريقة ما ينفض الغبار، ويمط اللثام، ويسلط الضوء على مجالات العلم والعلوم كافة وعلى دور الأوقاف في النهضة العلمية خاصة والمنافع المترتبة على إعادة تفعيل دورها التنموي والإنساني اللائق بها، والذي يتناسب مع ما يواجه الأمة الإسلامية من تحديات مختلفة ومتعددة في وقتنا الحاضر.

وأخيراً إن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

1- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير(ت: 630هـ):

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، بغداد، مكتبة المثنى، 1382هـ/1963م.
- الكامل في التاريخ، تحقيق: الدكتور علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1425هـ/2004م.

2- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي(ت:779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسمى بـ(رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1965م.

3- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي البنداري الأصفهاني(القرن السابع الهجري)، سناء البرق الشامي، وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق: رمضان ششن، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

4- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت:303هـ)، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، 1978م.

5- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد(ت: 614هـ)، الرحلة المسماة بـ(رحلة ابن جبير أو الرحلة)، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر، د.ت.

6- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط1، مطبعة حيدر آباد، الهند، 1359م.

7- الحنبلي، مجير الدين العليمي(927هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، د.ت.

8- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد(ت:808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال، بيروت، د.ت.

9- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت:681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

10- الذهبي، شمس الدين عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان(ت:748هـ):

- العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ.

11- الرازي، محمد بن أبي بكر(ت: بعد سنة 666هـ)، مختار الصحاح، بيروت، 1979م.

12- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي(ت:756هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي البابي، القاهرة، 1383هـ/1964م.

13- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي(ت:654هـ)، مرآة الزمان، دار الشروق، د.ت.

14- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل(ت: 665هـ):

- الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي ومحمد مصطفى زيادة، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، 1962م.

- عيون الروضتين، مخطوط بالمتحف البريطاني، منقول من المجلة التاريخية، المجلد7، 1958م .

15- ابن أبي شيبة، الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان(ت:235هـ)، المصنف، ط1، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/1988م.

16- الشوكاني، محمد بن علي(ت: 652هـ)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار الخليل، بيروت، 1973م.

17- الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك(ت: 764هـ)، الوافي بالوفيات، دار صادر، بيروت، 1970م.

18- الظاهري، خليل بن شاهين(ت: 873هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1994م.

19- ابن العديم، كمال الدين بن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة(ت:660هتقريباً)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.

20- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد(ت:597هـ):

- تاريخ دولة آل سلجوق، طبع شركة الكتب العربية للنشر، مصر، 1318هـ/1900م.

- خريدة القصر وجريدة العصر، إعداد: غادة حجاوي قدومي، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1975م.

21- ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار المسيرة، بيروت، 1979م.

22- العمري، ياسين خير الله الخطيب(ت:1232هـ)، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مركز الدراسات الإقليمية، الموصل، 1955م.

23- العيني، محمود بن احمد(ت: 855هـ)، البناية في شرح الهداية، تصحيح: محمد بن عمر الرامفوري، ط1، دار الكتب، بيروت، 1400هـ/1980م.

24- ابن القوطي، كمال الدين أبو الفضل الشيباني(ت___)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، 1932م.

25- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت:774هـ)، البداية والنهاية، ط1، دار التقوى، القاهرة، 1420هـ/1999م.

26- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت:845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ(الخطط المقريزية)، دار صادر، بيروت، د.ت.

27- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت: 711هـ)، لسان العرب، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

28- النعيمي، عبدالقادر بن محمد(ت: 927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1988م.

29- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله(ت:626هـ):

- معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.

- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1993م.

ثانياً: المراجع:

30- أحمد رضا أحمد، المدارس في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، 2008م.

31- أحمد شلبي، الفكر الإسلامي(منابعه وآثاره)، القاهرة، 1986م.

– أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة، 1973م.

32- الألوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد، طبعة بيروتية مصورة، د.ت.

33- أمين محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، القاهرة، 1980م .

34- البرهاوي، رعد محمود، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، بغداد، 2002م.

35- ابن الجيعان، يحيى، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، دار الكتب الظاهرية، دمشق، د.ت.

36- حسين أمين عبدالمجيد، المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، بغداد، 1960م.

37- راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، 1414هـ/1994م

38- الزايدي، عبدالله، الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، مجلة أوقاف الكويت، العدد(11)، السنة السادسة.

39- زهدي يكن، الوقف في الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة، 1388هـ.

40- أبو زهرة، الشيخ محمد، محاضرات في الوقف، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

41- زينب بنت يوسف فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، دار المعرفة، بيروت، د.ت .

42- الساعاتي، يحيى بن محمود، الوقف وبنية المكتبة العربية(استبطان للموروث الثقافي)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1408هـ/1988م.

43- سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، العراق، د.ط، د.ت.

44- سعيد نفيس، مدرسة نظامية بغداد، طهران، 1313هـ.

45- الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، من مظاهر الوقف في اليمن، ط1، دار النشر للجامعات، صنعاء، 1432هـ/2011م.

46- الشطي، أحمد شوكت، مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، دمشق، 1963م .

47- شعبان عبدالعزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، 1997م.

48- عبدالجبار حامد أحمد، الحياة العلمية في الموصل في عصر الأتابكة(521-666هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1975م.

49- عبدالحي القادري، الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور، ط1، مطابع الشويخ بتطوان، المغرب، 1407هـ/1986م.

50- عبداللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م.

51- عماد عبدالسلام رؤوف:

- مدارس بغداد في العصر العباسي الأول، بغداد، 1966م .
- الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1394هـ/1974م.

52- الكبيسي، محمد عبيد عبدالله، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1397هـ/1977م .

53- كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة 1000هـ، بغداد، د.ت.

54- محمد عبدالعزيز بن عبدالله، الوقف في الفكر الإسلامي، المغرب، 1996م.

55- محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط3، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 2007م.

56- محمد محمد أمان، الكتب الإسلامية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1990م.

57- المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، دار المعارف، 1400هـ .

58- أبو نصر، محمد عبدالعظيم، الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط1، عين للدارسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2002م.

59- الهلالي، عبدالرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، بغداد، 1959م.

60- يسرى عبدالغني، يانور الدين، القاهرة، 2004م.